الاغتراب النفســـي في الشعر الليبي المعاصر ديـــوان "أنين الجذوع" لــ : سعيد الفاندي أنموذجاً

كريمة الهادي انتيرة*

تاريخ الاستلام 17 / 11/ 2025م تاريخ القبول23 / 2 / 2026م

aliaghtirab alnafsuyu fi alshier alliybii almueasir diwan 'anin aljudhuei

Karima Al-Hadi Antira

Abstract:
Alienation is one of the most prominent phenomena reflected in Arabic literary creativity in general, and in Libyan literature in particular. It manifests as an emotional state that dominates the creative self, transforming into a discourse of expressive revelation—whether in poetry or in prose. The text examined in this study provides a clear embodiment of this phenomenon, which, in turn, necessitated its analysis and critical investigation.

الملخـــــص:

يُعدّ الاغتراب من أبرز الظواهر التي انعكست على الإبداع الأدبي العربي عامة، والليبي خاصة، إذ يتجسّد بوصفه حالة شعورية تسيطر على الذات المبدعة؛ فتتحوّل إلى خطاب بوحٍ إبداعي، سواءً في شكلٍ شعريٍ، أو نثري، والنص الذي نتناوله في هذه الدراسة، يمثّل تجسيداً واضحاً لهذه الظاهرة، وهو ما استدعى مقاربته بالدراسة والتحليل.

مدخل:

يُعدُّ الاغتراب من الظواهر التي لها دورها اللافت في التأثير على الحالة الشعورية للإبداع الأدبي، لأنه شعور بالاضطراب، وحالة من عدم الرضا، ولا مجال للمبدع في التعبير عنها إلا عن طريق البوح، فنجده ينعكس على نصوص الذين يراودهم هذا الشعور.

وهو يعكس التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها البلاد، ونموذج هذه الدراسة (الشاعر: سعيد فاندي)، من الشخصيات الأدبية والثقافية البارزة في مجال الأدب

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

والإبداع الشعري، وسيتناول البحث بعض أعماله أنموذجا للدراسة ومناقشة هذه الظاهرة في الأدب الليبي، وتجسد هذه الدراسة الاغتراب في الشعر الليبي المعاصر.
وعندما تعرضنا لديوانه الموسوم بـ"أنين الجذوع" وجدنا أنه يعاني من حالة الاغتراب النفسي والاجتماعي، يتجلى ذلك في نصوص الديوان، فنجده في نصه الموسوم بـ"أنين الجذوع" يقول:

تحت أفق لا يضيق
فوق أرض لا تغور
كتب التاريخ في سفر السلام
إن جند الحق صدقًا في اللقاء
وإذا ما مس قرح يصبرون
أحد دون أحد
سقطت كهف هبل
وتولت خيله خلف الظلال
غير أن النقل هز الراغبين(1)

أولاً ـ مفهوم الاغتراب:

ورد لفظ الاغتراب في معاجم اللغة بمعان عدة، منها "غرب" أي ذهب وتنحى من الناس، و"التغريب" ويعني البعد، و"الغربة والغرب" يعني النزوح عن الوطن، و"الغريب" وهو البعيد عن وطنه(2)، في القاموس المحيط جاء بمعنى الغربة المكانية، التي تعني البعد عن الوطن، فقد وردت من غرب، غربة، غرابة، تغريب وكلها بمعنى واحد، وتعني البعد والتنحي والتباعد عن الناس(3).، وجاء في معجم (العين): "الغربة الاغتراب من الوطن، وغرب فلان يغرب غربًا أي تنحى، و"الغربة": النوى البعيد، وغرب تغريبًا أي أمعن في البعد. "والغريب": الغامض من الكلام(4)، ونقول تغرب واغتراب، نزح عن وطنه"(5)، وتلتقي كل هذه المعاني الواردة في المعاجم اللغوية في كون الاغتراب يحمل معنى الابتعاد والنفي.

أما في الاصطـــــلاح: فهو خبرة تنشأ نتيجة للمواقف المختلفة التي يعيشها الفرد مع نفسه ومع الآخرين، ويؤدي شعور الفرد بانفصاله عن ذاته أو عن واقعه أو عن كليهما(6)، ثم إن الاغتراب "مفهوم يؤكد التجاذب النفسي بين الرضا والرفض، بين الحرية والقهر، بين الانفتاح والانغلاق، بين الرجاء والإحباط، بين سقوط الإنسان ومحاولة تجاوز هذا السقوط أو الانحراف، بين التوازن والاضطراب...، إنه بمعنى آخر تعبير عن التوتر والقلق النفسي وضياع الذات، أو استشعار الخوف من فقدان

الأمن والأمان والفرح والسعادة"(7)، فهو إذن شعور نفسي يرافق الفرد في أي مكان، حتى بين الأهل وفي الوطن، نواته الذات ومدى قدرتها على الرفض والقبول؛ فاغترابها يعني عدم تمكنها من الخوض في الحياة وعدم قدرتها على الانسجام مع الآخـــرين.

وهو "شعور الفرد بعدم الانتماء، وفقدان الثقة، ورفض القيم والمعايير الاجتماعية، والمعاناة من الضغوط النفسية، وتعرض وحدة الشخصية للضعف والانهيار، بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع"(8)، فالاغتراب أكثر ما يكون في المجتمعات التي دخلت في الحروب؛ ما أدى لتأثيرها على نفسية الفرد وتفكيره.

ثانياً ـ أسباب الاغتراب النفســـــي:

إن الاغتراب ظاهرة يعيشها الإنسان وفيها يشعر بالمعاناة، وذلك بسبب ما يلقاه من ألم يرافقه داخل وطنه وداخل نفسه، وهذا هو أشد أنواع الاغتراب وأقساه، الذي لا يأتي من العدم بل لا بد له من أسباب تكون وراء ظهوره، وتتمثل في:

1. "فشل الإنسان في الوفاء بالوعود.
2. زيف وانحصار المشاركة الفعلية في اتخاذ القرارات.
3. تراكم الفقر وعدم العدالة.
4. عدم الاستقرار السياسي"(9).
5. "ممارسة القمع والتسلط من طرف الأنظمة على شعبها.
6. طقوسية الماضوية وثباتها أي الصراع بين القديم والجديد.
7. التجزئة والتفتت الاجتماعي"(10).

إضافة لذلك نجد:

ـ الإقصاء والتعسف ما يؤدي لعدم القدرة على التواصل.

ـ ضعف الشعور بالقيمة والإحساس بالأمن.

ـ عدم التكيف والشعور بغربةٍ حتى مع وجود أشخاص، وقد يظهر في تصرفاته، لأنه لا يستطيع السيطرة عليها فيرفض هذا ويتمرد على ذاك، فالسخط والإحباط والرفض كلها تشكل الشخصية المغتربة.

ثالثاً ـ مراحل تشـــــكيل الاغتراب النفسي:

حين نتناول الاغتراب على أنه ظاهــرة نفسية بحتة، سنقف على تحولات تطرأ بداخل الإنسان الذي يعيش الاغتراب، فالنفس البشرية على جانب كبير من التعقيد، غير أننا يمكن أن نرى بوضوح ثلاث مراحل متمايزة للاغتراب:

1- مرحلة ما قبل الاغـــتراب: وفيها يعيش الفرد مرحلة صراع الأهداف، فيكون المرء مهيأً داخليًّا، حين يشعر بفقدان المعنى، بعد أن يرى العالم يسير نحو الهاوية وهو لا حول له ولا قوة، "وأنه لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته وبالتالي لا يستطيع أن يقرر مصيره"(11)، هذه المرحلة مرحلة تراكمات فذو العقل - كما قيل- يشقى في النعيم بعقله، وهنا نلمس بداية التحول.

2- مرحلة الثـــــورة: يحاول المرء الثورة فيجاهر برفضه، ويصبح عصبيًّا، يرفض كل شيء، أحيانًا يرفض حتى بعض الأمور التي كان يؤمن بها، كقيم الصداقة والحب والرحمة، كما يرفض الأنظمة والقيم والثقافة السائدة، وترافـق هذه المرحلة مجموعة من المشاعــر أبرزها القلق.

3- مرحلة التكيف: الإنســـان يتكيف بطبعه، ولا بد للثــورة أن تخمد نيرانها الخارجية، وتبقى نيرانها الداخلية، فيبدي عكس ما يضمر كما قال المعري:

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيًا تجاهلت حتى ظن أنني جاهل
فوا عجبا كم يدّعي الفضل ناقص ووااسفاكم يظهرالنقص فاضل(12)

ويأخذ هذا التكيف أشكالًا كاللامبالاة وعدم التعقيب والرضـوخ للواقـع كمـا هـو، "فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحًا لديه مـا يجـب عليـه أن يـؤمن بـه أو يثـق فيـه، ولذلك يرى الإنسان المغتـرب أن الحيـاة لا معنـى لهـا، لأنهـا تسـير وفـق منطـق غيـر مفهوم وغير معقول، ومن ثم يعيش حياة التفاهة واللامبالاة"(13)، وتظهر علـى سـلوك المغترب مجموعة من الأعراض، وهي:

1. اللامواجهة والانسحابية.
2. الاستسلام والرضوخ.
3. الرفض والتمرد(14).

رابعاً ـ نماذج تطبيقية:

يعد الشعور بالاغتراب من أبرز المؤثرات على الحالة الشعورية للمبدع، كما يكون للاضطراب النفسي دوره الفاعل في خروج البوح الإبداعي، الذي يعمل عن طريق العقل الباطن مندمجًا بالأرضية الثقافية والمعرفية للمبدع، وها هي نصوص نموذج هذه الدراسة تنم عن هذا الاضطراب الذي تمر به الحالة الشعورية للمبدع، يقول سعيد فاندي في نصه الموسوم بعنوان "فوق المجاز":

تتمدد الصحراء في صدري ويتصل السراب
وأسبح مغترباً مع الحلم المسافر في الغياب
أنسلُّ من زمني وأخرج من تضاريس المكان
متقلدًا لحنًا تخالسه من الصمت الشفاه
يتبطن النجوى فيقرؤها ويخترق المعاني
ليصوغ من إشعاع صورتها مجازًا في المجاز
فيما وراء الحرف والرمز المفعم بالرؤى(15)

الأسطر الشعرية السابقة تظهر الاغتراب عن طريق التضاد في المفاهيم التي شكلت النص الإبداعي، فتارة يتحدث عن الصحراء والسراب، والمتلقي يذهب به خياله إلى البيئة الصحراوية عند تلقيه هذا المفهوم، وتتشكل الصورة المشهدية التي رسمها السطر الشعري للصحراء وما تشمله من قحط وجفاف وزمهرير، ثم يقفز مباشرة ويكسر عنق المعنى والصورة لدى المتلقي بقوله (وأسبح) فينتقل المتلقي من مشهد الصحراء إلى مشهد الماء والحياة، فالسباحة لا تكون إلا في مكانها وبيئتها الخاصة بها، وفي الأسطر الأخرى من النص يتقلد المبدع الصمت وينتقل بعده إلى النجوى، وفرق شاسع بين الصمت والمناجاة، فالمناجاة تحتاج إلى بوح على عكس الصمت.

من هذه الوقفة على النص والنظر في مشاهده وصوره، نلمس الاضطراب الذي تمر به الحالة الشعرية للمبدع، مع تصريح بلفظ الاغتراب في النص، وعند البحث عن المعنى العميق والدلالة عن طريق لعبة اللغة، التي اتخذ منها الشاعر وسيلة للتعبير، نجد أنه يشعر في داخله أنه ينتمي إلى الصحراء، وفي الصحراء دلالة على الجفاف إمّا عاطفيًّا وإمّا نفسياً وإمّا اجتماعياً، وهذه كلها حالات نفور، أما الحلم الذي يراود المبدع فهو السباحة في بحر الحياة الجميلة المفعمة بالعواطف والأحاسيس، وما يصبو إليه خياله يعجز عن البوح به، إذ إنه عبّر عن هذا بأنه ينسل من زمنه ومن تضاريس المكان الذي يعيش فيه، ويتقلد لحنًا من الصمت ليصوغ من إشعاعه هذا البوح الذي ينسجه في كتاباته، ويبدو أنه الملجأ الوحيد لهذه الحالة الشعورية.

وفي نص آخر يقول:

ها هو النور المزكى
ومضة في كل حرف
صورة في كل صورة
ونشيد في نداء

صاعد نحو السماء
وصرير الدمع في جفن
تغشاه الضياء(16)

الشّــعور بالاغتراب سبب من أسباب الاتجاه إلى الرفض والتمرد، فالحياة التي يعيشها الإنسان شاعرًا كان أم غير شاعر تتغير باستمرار، من حيث طرق العيش والأحداث والوقائع والحروب، فالعالم متجدد وهذا التجدد يحتم على الإنسان أن يتماشى مع كل جديد وكل تغير، وإلا سيفقد الاتزان وسيقع فريسة لليأس وفقدان الإحساس بطعم الحياة، أي سيدخل في عالم موحش يرى كل ما فيه غير مألوف فيضطر إلى الدخول في عزلة، وهذه العزلة ستؤثر عليه بوصفه فردًا في المجتمع، لذا يحاول أن يخفف من حدة هذا الشعور عن طريق البوح بحالات الرفض والتمرد والشعور بالاغتراب.

في النص الســـابق نجد أن النّــور في مخيلة الشاعر ما هو إلا ومضة وصورة، فالومضة معروفة وهي إشعاع خاطف وجاءت من وميض البرق، والصورة هي لقطة الكاميرا وهي أيضًا قصيرة مقارنةً بالمشهد الدرامي أو السينمائي، وفي هذا السياق يقول جورج ميد: "إن كل ما هو موجود من ظواهر نفسية أو اجتماعية أو عقلية هو نتاج التفاعل الاجتماعي بين أفراد الإنسان، وأن أساس هذا التفاعل الاجتماعي هو قدرة الإنسان على أن يتصور ذلك الموقف أو الاتجاه ويحسه ويستجيب لما يتوقعه من سلوك الآخر"(17). وفي نص آخر موسوم بـــ"الساري" يقول:

خرجت من رحابها أنازع الخطأ
مواربًا مساربي كقاطع الطريق
وأحجب الشروق بالغروب
وأطفئ الغروب بالشروق
وأرجم القمر
وأغمض السهاد في عباءة السهر
وليس في الجراب غير حفنة الحنين يسفها الضجر
ودمعة محبوسة في جفنها تساجن الأنين
وصرختي تذوب في شواطئ السفر
وغربتي موحشة لكنني لن أوقف الرحيل(18)

سنضمن هذا النص نتائج البحث حتى نتوصل -عن طريق قراءتنا للنصوص القليلة في هذا البحث- إلى أن للّغة دورها الأساسي في التعبير عن الحالة الشعورية، فنجده قد ربط العنوان بمطلع النص، فعنوان النص "ساري"، وينطقه في مطلع نصه بالفعل الماضي "خرجت"، ومن المعروف أن السروة أو السريان مبكرًا يحتاج إلى العزم والخروج. ويستمر الشاعر في تدبيج نصه بألفاظ تدل على الرحلة والسفر، مع ملاحظة أنها تحمل في طياتها التضاد من ناحية المعاني، وكذلك من ناحية استخدام اللغة، حتى في استخدامه للأسماء والأفعال، وكل هذا التضاد في هذه النصوص دلالة على حالة الاضطراب النفسي والشعور بالاغتراب، وهي حالة عدم الرضا بالعيش في المجتمع لاختلاف الرؤية والثقافة وفهم الحياة. ولا نريد أن نطيل في هذا الصدد ولكن نلاحظ هذا الاضطراب حتى في التخصص الدقيق لهذا المبدع، فهو متخصص في مجال الدراسات الإسلامية والفقه الإسلامي.

الخاتمة :

يتبين في ختام هــذه الدراســـة مدى التشظي؛ إذ يمثل الاغتراب النفسي في الأدب المعاصر، كما تجسده تجربة الفاندي، مرآة دقيقة لتحولات الذات الليبية في سياقها المضطرب، فهو لم يكن مجرد كاتب يرصد الظواهر، بل كان صوتًا داخليًّا مأزومًا عن وجع الإنسان في مواجهة العزلة وانكسار المعنى وتيه الهوية، عن طريق أدوات السرد الفنية، ولغته الشعرية المشحونة بالحيرة والقلق.

قدم الفاندي عالمًا روائيًّا نابضًا بالتوترات النفسية، يفتح نوافذ على العزلة، ويطرح أسئلة وجودية تحاكي تمزقات الإنسان الليبي في ظل واقع متشظٍ.

ولا تقف أهمية هذا النموذج عند حد التوثيق الأدبي فحسب، بل تتعداه إلى كونه دعوة لمساءلة الواقع وإعادة تأمل العلاقة بين الداخل والخارج، أي بين الإنسان وبيئته الخاصة والعامة.

النتائـــــج:

بعد تتبع ظاهــــرة الاغتراب توصلت الدراسة إلى النتائج الآتيـــة:

1- تجسيد الاغتراب كظاهرة وجودية: إذ أظهرت نصوص النموذج المدروس أن الاغتراب النفسي يتجاوز البعد الاجتماعي ليصبح انعكاسًا لأزمة وجودية.

2- البنية السردية: تمثل أداة للكشف عن معاناته النفسية، عن طريق ما استخدمه النموذج من آليات للسرد على نحو دقيق، مثل التبئير الداخلي، وتيار الوعي، والاستنباط.

3- رمزية فضاء المكان والزمان: يظهر في استخدام الأماكن المغلقة والفضاءات المهجورة والأزمنة المبهمة.

4- توظيف اللغة أداةً فنية غارقة في الدلالات للتعبير عن التوتر، عن طريق التكثيف والتكرار والصور الغامضة.

التوصيات:

1- الاتجاه للدراسات النقدية التي تعتمد على المنهج النفسي في تحليل الظواهر النفسية في الأدب الليبي؛ وذلك لإبراز الحالة الشعورية واكتشاف حالات الإبداع.

2- العمل على تشجيع البحوث المقارنة بين الأدب المحلي والأدب القومي، بل العالمي، والخروج من قوقعة المحلية والانطــواء على الذّات للانتشار والوصول إلى العالمية.

3- الانفتاح على مناهج النقد الحديثة لتعميق الفهم.

4- إدراج أعمال هذا النموذج (سعيد فاندي) والأعمال المماثلة له التي تصل إلى الإبداعية ضمن المقررات الجامعية المعنية بالأدب الحديث؛ لما تحمله من ثراء فني وفكري يسهم في توسيع آفاق الطلاب وتأهيلهم.

بيان تضارب المصالــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــش :

1. سعيد الفاندي: أنين الجذوع، ص136.
2. ابن منظور: لسان العرب، مجلد 10، دار صبح، لبنان، 1968م، ط1، ص32.
3. مجد الدين يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1997م، ص1422.
4. ينظر: الخليل ابن أحمد الفراهيدي: معجم العين، ترتيب ومراجعة: داوود سلوم وآخرين، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2004م، مادة "غرب".
5. لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، لبنان، ط31، 1991م، ص574.
6. د. سناء حامد زهران: إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، مدرس الصحة النفسية، كلية التربية بدمياط، جامعة المنصورة، نشر وتوزيع عالم الكتب، ط1، 2004م، ص104.

7. د. حسين جمعة: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العددان الأول والثاني، 2011م، ص24.
8. زهران: 2002م، ص18.
9. أ. سمية بن عمارة: الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الإنترنت، رسالة دكتوراة في علم النفس الاجتماعي، 2013- 2014م، ص38.
10. د. حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، ص60.
11. عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، ط1، القاهرة، 2003م، ص36.
12. ديوان المعري، ص؟ .
13. ينظر: د. يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص18.
14. ينظر: حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2006م، ص84.
15. سعيد الفاندي، أنين الجذوع، ص136.
16. نفس المصدر، ص32.
17. سيد أحمد عثمان، الأثر النفسي "دراسة في الطفولة وعلم النفس"، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1986م، ص40.
18. أنين الجذوع، ص62.